أمتداد الخلافة الفاطمية العبيدية من الشمال الافريقي الى الشرق الأسلامي

م .م سهير حميد فرحان
مديرية تربية الكرخ الاولى
Hmydshyr55@gmail.com
07823526161

الملخص

ان الدوله الفاطميه هي نموذجا للدولة المذهبية في التاريخ الاسلامي وهي دولة شيعيه تميزت بمذهب خاص وهو المذهب الاسماعيلي نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق الذي خطط سياستها وأعطاها ابعاد ثوريه متقدمة ، وقد أدرك الفاطميون منذ البدايه بعد أن أستقروا في الشمال الأفريقي وأسسوا دولتهم في المنطقه بأنها لا تؤمن لهم الهدف المنشود وتحقيق أحلامهم ، فقد كانت أنظارهم تتجه دائما الى الشرق الأسلامي والقضاء على الخلافه العباسيه ووراثة العالم الأسلامي. وبعد انطلاقهم الى الشرق والأستيلاء على مصر أنشأوا لهم عاصمة جديده في القاهره تعبر عن أتجاهاتهم الفكريه والسياسيه وقد مثلوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري أكبر قوة في العالم الأسلامي، اذ بلغت دولتهم في عهد الخليفه المستنصر بالله أقصى أتساع لها حيث ضمت مصر والشام وشمال أفريقيه وصقليه والشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر والحجاز واليمن وعمان والبحرين، وكان الفضل يعود في ذلك الى الدعاة حيث لم يكن للقوة المسلحه غير دور ضئيل فيها .

الكلمات المفتاحيه

الخلافه الأسلامية ، الفاطميون ، الدعوة الأسماعيليه ، الشرق الأسلامي ، الأستيلاء على مصر

Extension of the Fatimid Ubaid From North Africa to the Islamic Easts

Suhair Hamyd Farhan
Hmydshyr55@gmail.com

SUMMARY

The Fatimid state is amodel for the golden statein Islamic history , It is ashite country that was disting hished by a special doctrine, which is the Ismail doctrine , in relation to Ismil bin Jaafar Al-sadiq, who planned its policy and gavi it advanced rev0lutionary dimensions.

The fatimids after they setted in north Africa and established their statein the region,*It does not guarantee them desired goal and the redization of their dreams, as tgeir eyes have always been directed to the Islamic east and the imination of the abbasid caliphate and the inheritance of the Islamic world and after their departure to the Islamic east and the conduest of egypt,they spread anew capital for them in cairo that expresses their intollec that and pditical , in the first half on the fifth century AH / eleventh century AD, they represented the largest force in the Islamic word ,as their state reached its maximum expansion during the reign of caliph Al-mustansir GoD , as it included Egypt , the levant , north Africa , sicity , the African coast of the Red sea , Hijaz , Yemen , Oman and Bahrain , the credit goes to the preachers in that , as tge armed force had only aminor role in it .*

KEY WORDS: Islamic Caliphate , Fatimids , The Ismaili Call, Islamic East , Seizure , Capture Of Egypt

المقدمة

تطلع الفاطميون منذ بداية نشأتهم في المغرب سنة 296هـ حتى سقوط دولتهم سنة 567هـ أي ما يزيد على قرنين ونصف من الزمان الى زعامة العالم الأسلامي وتظافرت جهودهم الى توسيع رقعة دولتهم ومد نفوذهم الى أراضي الخلافه العباسيه وخاصة مصر بسبب موقعها الجغرافي القريب من الشرق والذي يسهل معه الأتصال بالبلدان الخاضعة لخلافتهم بصورة لا توفرها لهم عاصمتهم المهديه في الشمال الأفريقي وربما أرادوا معها أيضا الأتصال بمراكز دعوتهم الأولى في سلمية في الشام ، وكذلك كثرة ثرواتها وانها تصلح لأن تكون قاعده لمواجهة حملات الخلافه العباسيه لذا كانت مصر هدفا منشودا أو هدفا ستراتيجيا سعوا الى تحقيقه منذ بداية نشأتهم وتكوين دولتهم في الشمال الأفريقي مهما كلف ذلك الأمر من صعوبات وتحدي للخلافه العباسيه التي كانت تحكم العالم الأسلامي أنذاك ، خاصة وأن مصر كانت ولاية تابعة للعباسيين تُحكم من قبل ولاتهم التي يتم تغييرهم بصورة مستمرة وأنها كانت مصدرا لكبار أمراء الجيش العباسي من الأتراك مصدرا أقطاعيا يعود عليهم بأرباح طائله من أموال الخراج ، لقد كان هدف الفاطميين الأساس هو تأسيس نظام سياسي ديني في ثلاثة من المراكز الأسلاميه المهمه وهي الفسطاط والمدينة المنورة ودمشق فمنذ أن أستقر عبيد الله المهدي في شمال أفريقيا تطلع الى غزو مصر، ففي سنة 301هـ أرسل أبنه (أبا القاسم) بجيش كبير من البربر فأخذ برقه وأجزاء من الأسكندريه والفيوم بعد أن تحارب مع مؤنس الخادم قائد الجيش العباسي وأنتصر عليه في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله (295- 320هـ) وفي العام التالي سنة 302هـ بعث بجيش اخر قاده أحد زعماء قبيلة كتامه وأحتل أجزاء كبيرة من الأسكندريه وفي سنة 306هـ أحتل أبنه (أبا القاسم) الأسكندرية كاملة وأجزاء من الصعيد وبعد حروب طاحنه مع العباسيين أنسحب وكانت له حملة أخرى سنة 315هـ محاولة منه لدخول مصر والأستيلاء عليها ، وعندما مات عبيد الله المهدي سنة 322هـ تولى أبنه أبا القاسم الذي لقُب بـ (القائم بأمر الله) مهمة أحتلال مصر وأعلان الخلافه الفاطمية فيها ومع أستمرار الحملات عليها ووصول المعز لدين الله الى الخلافه سنة 341هـ (الخليفة الفاطمي الرابع) خلفا لوالده المنصور أبي طاهر أسماعيل حيث تم في عهده فتح مصر كاملة سنة 358هـ ، عندما ارسل قائده جوهر الصقلي الذي دخل الجامع العتيق وأضاف الى الأذان حي على خير العمل ودعا على المنبر للمعز الفاطمي وأسقط دعوة العباسيين في مصر وبدأ عهد الفاطميين الذي يمكن أن نقسم فترة حكمهم الى قسميين في كل قسم كانت الخلافه الفاطميه لها سماتها الخاصه بها ، القسم الأول الذي ممكن أن نعتبره عصر القوة والأزدهار أما القسم الثاني فكان عصر الضعف والتفكك.

أهمية البحث

1ـ للخلافة الفاطمية أهمية خاصة في التاريخ الأسلامي لكونها أحدى أكبر الدول الأسلامية التي أستمرت مدة تصل الى 270 عاما

2ـ لقد نجح الفاطميون في ترك أثر عظيم في التاريخ الأسلامي وخاصة مصر كانت لها أهمية كبيرة في الدور الحضاري الذي قامت به منذ نشأتها و نشر العلم والمعرفة والدين فيها وانشاء المدارس العلمية والمكتبات والمدن والجوامع وأصبح الطلاب يأتوها من كل أنحاء العالم

اهداف البحث

تهدف الدراسة في حقيقة سعي الفاطميين منذ ظهورهم على المسرح السياسي بالشمال الأفريقي الى احتلال مصر فلم تكد تظهر دولتهم حتى أخذوا أستعدادهم لغزو مصر والأستيلاء عليها وهذا ما أكدته المراجع و المصادر التاريخية عبر الزمن

خطة البحث

- المبحث الأول : بداية ظهور الفاطميين على المسرح السياسي
- المطلب الأول : ظهور الشيعة الأسماعيلية
- المطلب الثاني : محاولات عبيد الله المهدي لغزو مصر
- المبحث الثاني : التغييرات الأقتصادية في مصر
- المطلب الأول : أعمال جوهر الصقلي في مصر

- المطلب الثاني : فتح الفاطميين لبلاد الشام
- المبحث الثالث : تدهور أحوال الدولة الفاطمية وتراجعها في ظل حكم الوزراء
- المطلب الأول : وفاة الخليفة المستنصر الفاطمي
- المطلب الثاني : سيطرة الوزير الأفضل وأستبداده في الحكم
- المطلب الثالث : تولي العاضد لدين الله للحكم وأنهيار الخلافة الفاطمية

المبحث الأول

بداية ظهور الفاطميين على المسرح السياسي

المطلب الأول : ظهور الشيعه الاسماعيليه

ينتسب الأسماعيليه الى اسماعيل ، الأبن الأكبر لجعفر الصادق (ع) ثم تفرعت هذه الطائفه من الشيعه الإماميه بعد موت جعفر الصادق عام 148هـ اذ ان من تسموا بالأسماعيليه لم يعترفوا بأمامة موسى الكاظم الأمام السابع للاثنى عشريه اذ ساقوا الأمامه بدلا عنه الى اسماعيل او أبنه محمد ، وقد اختلفوا الشيعه أنفسهم في الأسباب التي جعلت الأمام جعفر الصادق بتحويل الأمامه من ابنه اسماعيل الى أبنه موسى الكاظم ، فهناك من يقول الى ان اسماعيل بعد ان عقد ابوه البيعة لهُ لم يكن بالرجل الذي يصلح لتولي الأمامه من بعده ، أما لسلوكه الأخلاقي وأدمانه الخمر وولعه بالنساء ، أو لارتباطه ببعض المذاهب المنحرفه ، وهناك رواية تقول بأن اسماعيل قد توفى في حياة ابيه ومن ثم نُقلت الإمامه الى اخيه موسى ، وهناك رواية ثالثه يرويها الأسماعليون انفسهم ويدافعون عنها مفادها أن أسماعيل لم يمت في حياة ابيه ، بل اطلق ابوه خبر وفاته وأثبتها بوثائق مكتوبه تقية وخوفا على حياة أبنه من العباسيين الذين كانوا يضطهدون أهل البيت في كل مرة[1] ان فرقة الاسماعيليه كثيرة ومتعدده فقد شهدت منذ نشأتها أنشققات كثيرة ولدت طوائف وجماعات متعدده انفصلت بعضها عن الفرقه الأم انفصالا تاما ، ونهج بعضها نهج الأسماعيليه مع ادخال لبعض التعديلات والتغييرات في النظم والمذاهب[2] وقد لقب الأسماعيليه بـ (الباطنيه) لقولهم بأن لكل ظاهرا باطنا ولكل تنزيلا تأويلا ، ويطلق عليهم أيضا بالقرامطه وهذين اللقبين عُرفوا بهم في بلاد العراق أما في خرسان فقد أطلق عليهم (بالتعليميه والملحده) وهم يرفضون أن يطُلق عليهم هذه الالقاب ويقولون نحن الأسماعيليه وقد تميزنا بهذا الأسم عن بقية الفرق الشيعيه[3] ووقع الأختيار على اليمن لكي تكون مركز الدعوة الشيعيه الأسماعيليه ، وقاد الدعوة هناك رجل يُدعى (ابن حوشب)[4] الذي أستطاع بذكائه أن يستقطب بعضا من الفرس المعادين للمسلمين لنشر دعوته وقد رأى بعد ذلك أن أرض المغرب أرضا خصبة لنشر الدعوة الشيعيه هناك فأرسل رجلين من أنصاره هما (ابي سفيان والحلواني) الى طرابلس وتونس لنشر المذهب هناك[5]، ومن بين الذين أختارهم أبن حوشب في اليمن هو(ابو عبد الله الشيعي)[6] وقد وقع أختيارهُ عليه لما لمس فيه من صفات قياديه بارزة من العلم والذكاء المتقد والقدرة على التعامل ، ويعتبر أبو عبد الله الشيعي هو المؤسس الحقيقي والفعلي للدولة العبيديه الأسماعيلية في المغرب فبعد موت (أبي سفيان والحلوان) بعث ابن حوشب أبو عبد الله الشيعي الى المغرب وقال له : أن أرض كتامه في بلاد المغرب قد حرثها أبي سفيان والحلواني وقد ماتا وليس لها غيرك وأنها موطأه ممهده لك فبادر[7] .

---

[1] احمد محمد احمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعه) ، ص303-305

[2] سعد رستم ، الفرق والمذاهب الأسلاميه ، ص 281-282

[3] علي محمد صلابي ، الدولة الفاطميه ، ص38

[4] ابن حوشب : هو ابو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب الكوفي داعي أسماعيلي ومن أوائل الدعاة في اليمن ومؤسس الدعوة في[4] احمد محمد احمد جلي ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعه) ، ص303-305

[5]s علي محمد صلابي ، الدولة الفاطميه ، ص 42

[6] ابو عبد الله الشيعي : هو الحسين بن محمد بن زكريا ، أبو عبد الله ، المعروف بالشيعي ويلقب بالمعلم لأنه كان يعلم الناس مذهب الأمامية الباطنية ، ممهد الدولة الفاطمية والداعي للخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي وناشر دعوته في المغرب الأسلامي وقد قتله بعد اعلان الخلافة الفاطمية فيها

[7] عبد الفتاح النعيمي ، موسوعة المغرب العربي ، ص57

عمل أبو عبد الله الشيعي على نشر الدعوة الفاطمية الشيعية في بلاد المغرب العربي منذ سنة 280هـ الى سنة 289هـ حيث أستطاع خلال هذه الفترة أن يحشد أتباعه ويواجه دولة الأغالبه في حروب دامت الى سنة 296هـ حيث قضى على دولة الاغالبه هناك وفي أثناء هذه الحروب أرسل أبو عبد الشيعي الى عبيد الله المهدي يدعوه للقدوم والمجئ الى بلاد المغرب[8] . وقد حقق أبو عبد الله الشيعي أنتصارا عظيما ونجاحا باهرا مما جعل البربر[9] يتوافدون أليه من جميع القبائل فترأس أبو عبد الله الشيعي هذا المجتمع الشيعي الناشئ وأستطاع أن يحول أتباعه الى جيش قوي يتفانى من أجل نصرة الائمة الشيعيه وضد الولاة العباسيين المغتصبين للحكم الأسلامي وجاهدين من أجل اعادة الحق والسياده لأصحابها من آل البيت[10].
ولما وصل عبيد الله المهدي ومن معه الى طرابلس تم القبض عليه من قبل الوالي الأغلبي ولكن أستطاع أن يرشوه وغادر طرابلس متجها الى سجلماسه[11] وظل المهدي يعيش في سجلماسه في كنف واليها (اليسع بن مدرار) الى أن وصلته أخبار عن أنتصار أبو عبد الله الشيعي على دولة الأغالبه[12] وقد دخل أبو عبد الله الشيعي الى رقاده وحذف أسم الخليفة العباسي من الخطبة في الجامع وظل ينتظر وصول عبيد الله المهدي الذي غادر سجلماسه وأتجه نحو افريقيا حتى وصل رقاده فنزل بأحد قصورها وأتخذها حاضرة له في عام 297هـ وبعدها تلقب عبيد الله المهدي بـ (أمير المؤمنين) وصار بذلك أول خليفة للدولة الفاطميه الناشئه التي ظهرت في الشمال الأفريقي بعد نجاح الدعوة الأسماعيلية في نشر العقيدة الشيعية بتلك البلاد البعيدة عن يد السلطات العباسية والتي ساعد على نجاحها جهل البربر وكراهيتهم لولاتهم العباسيين الذين أثقلوا كاهلهم بالضرائب[13].

المطلب الثاني : محاولات عبيد الله المهدي لغزو مصر

عندما قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب العربي كانت أنظار أئمتهم تتجه دوما الى الشرق الأسلامي وخاصة الى مصر التي كانت تتمتع بمزايا جغرافيه متميزه في العالم الأسلامي التي جعلتها محط أطماع الحكم الفاطمي حيث كانوا يعلمون جيدا أن سيطرتهم على مصر تعني سيطرتهم على البلدين التابعين لها وهما الشام والحجاز وفي حال سيطرتهم عليها يكتسب الفاطميون وضعا متميزا يستطيعون من خلاله السيطرة على كافة البلاد الأسلاميه وضم شعوبها تحت لوائهم لواء الخلافه الفاطمية الشيعية واذا أتم لهم ذلك يسهل عليهم الزحف الى العراق مركز الخلافه العباسية وأسقاطها هذا من جانب ومن جانب أخر فقد أدرك الفاطميين أن بلاد المغرب العربي لاتصلح أن تكون عاصمة لخلافتهم التي يسعون من خلالها السيطرة على كافة أرجاء العالم الاسلامي ذلك أن البلاد يسكنها البربر الذين يمتازون بسرعة الغضب وحدة الطباع وكثرة الثورات الأمر الذي يهدد أستقرارهم ويعرقل خططهم وتوطيد أركان دولتهم[14]. بدأ عبيد الله المهدي بمحاولاتهُ لغزو مصر عام 301هـ بحملتهُ الأولى التي كان يقودها (حباسة الكُتامي) لمساعدة جيش العبيدين الذي يقوده أبنه (أبا القاسم) الذي تسمى فيما بعد (القائم بأمر الله) حتى أستطاعوا الوصول الى الاسكندرية والزحف الى دلتا والفيوم ، فبعث الخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ) جيشا جرارا يقودهُ (مؤنس الخادم) الذي أستطاع صد الزحف العبيدي بقوة صادمة أرغمتهم على الجلاء عن مصر سنة 302هـ فعاد حباسة ومن معه الى المهدية فما كان من عبيد الله المهدي ألا قتله[15].
أرسل الفاطميون بعدها حملات اخرى في عام 307هـ لكن جميع هذه الحملات باءت بالفشل وذلك لأن الخلافه العباسية كانت حين ذاك من القوة التي أستطاعت معها صد جميع الحملات عليها ، وكان لمؤنس الخادم الفضل الكبير في صده الحملة الاولى والثانيه اما الحملة الثالثه فقد استطاع محمد بن طغج الاخشيد

[8] راغب سرجاني ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي ، ج1 ، ص 415
[9] البربر :هم مجموعه عرقيه بالمغرب العربي في الشمال الأفريقي ، وهناك أختلاف بين المؤرخين حول أصلهم
[10] ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، ص111
[11] سجلماسه : وهي مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان ، أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص192
[12] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص 24
[13] المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص68
[14] محمود ، محمود عرفة ، الدولة العظيمة في مصر ، ص69
[15] أحمد حسن صبحي ، الدعوة الفاطمية ، ص137

وجيشه من صدها[16]. وعندما وصلت الخلافه الى المعز لدين الله استطاع قائده جوهر الصقلي[17] من فتحهاعام 358هـ وقطع الخطبة للعباسيين وأصبحت مصر والمغرب مملكة واحدة تحت قيادة الخلافة الفاطمية[18]. ادرك جوهر الصقلي عند دخوله الى مصر طبيعة المجتمع المصري وما يريدونه من الشخص الذي يتزعمهم فقد منح جوهر الصقلي الأمان للمصريين أولا وتعهد بترك الحريه الدينيه في الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان والفطره والزكاة والحج على ما نص به كتاب الله وسُنة رسوله الكريم وأسقط الرسوم الجائرة وتعهد بترميم المساجد واعطاء مؤذينها وغيرها من الأصلاحات التي رأى بها أهل مصر ما يحسن أوضاعهم الداخلية وما يضمن قوتهم وأرزاقهم[19] كانت السنوات الأربع التي حكم فيها جوهر الصقلي مصر من أهم الفترات التي مرت على تاريخ مصر ، فقد تمت فيها التغيرات المركزية والأدارية اللازمة التي عبرت عن انتقال السيادة الى الفاطميين ومهدت الطريق امام المعز للانتقال الى الشرق وتولي الخلافة في مصر وأعلانه الخلافة الفاطمية فيها حيث تلتها سلسلة من الخطوات والاجراءات في جميع النواحي العقائديه والأدارية والتنظيمية حيث قطع جوهر خطبة العباسيين من على منابر مصر وأحل محلها اسم الخليفة المعز وأزال السواد شعار العباسيين وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض شعار الفاطميين[20]

المبحث الثاني

التغييرات الأقتصاديه في مصر

المطلب الأول : أعمال جوهر الصقلي في مصر

عندما قدم جوهر الصقلي الى مصر كانت مصر تمر بأسوء مراحلها من الناحية الاقتصادية لأكثر من قرن حيث بدأت الأزمة الأقتصادية منذ عام 352هـ واستمرت لمدة ثلاث سنوات بعد الفتح الفاطمي حيث كان القضاء على المجاعة من آولى أهتمامات جوهر الصقلي حيث ضرب في سنة 359هـ جماعة من الطحانين وطاف بهم البلاد وذلك لما بدأ منهم من سوء وأستغلال للناس وزيادة الأسعار دون مراعاة ورحمة فجعل للبيع مكانا واحدا فكان لا يخرج قدح قمح إلا ويقف عليه[21]. ومع الأصلاحات التي قام بها جوهر الصقلي إلا ان الغلاء أستمر الى عام 360هـ بسبب انخفاض منسوب مياه النيل وأدى ذلك الى تفشي الأمراض وكثرة الموت وأستمر الحال الى سنة 361هـ حيث أنقشعت الأزمة وظهرت بوادر الرخاء[22]، ولما كانت الزراعة تشكل العصب الأقتصادي المصري فقد وجه القائد جوهر المصري جلَّ أهتمامه وعنايته فيها ومدَّ الجسور والقناطر وغير ذلك[23] ومن أعمال جوهر الصقلي أيضا فقد حرص على أصلاح النظام النقدي الذي كان سائدا قبل فتح الفاطميين اليها فأستجدَّ بضرب دينار عالي القيمة فيها هو الدينار المُعزي الذي قارب وزنه ونقائه أربع وعشرين قيراطا[24]. ففي زمن الفتح كان المصريون يستخدمون نقودا ذهبية وفضية ونحاسية بالأضافة الى النقود الوسيطية المخلوطة ، وكانت الدنانير تحفظ كرصيد ولا تُدفع إلا في المشتريات الضخمة والكبيرة وفي الأخص مشتريات العقار ، فقد كان الدينار المستخدم في مصر عند الفتح الفاطمي هو الدينار الراضي الذي ضربه العباسيون ، وكانت تستخدم دنانير من الفضة المذهبة تُعرف بالدينار الأبيض وهو دينار منخفض القيمة ونسبة الفضة فيه كبيرة ، وبعد أن ضرب جوهر الصقلي الدينار المُعزي في عام 358هـ عمل على تثبيت قيمة صرف الدينار الراضي

---

[16] احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص247

[17] جوهر الصقلي: هو ابو الحسن جوهر بن عبد الله ولد بجزيرة صقلية احدى جزر الدوله الرومانية عام 300هـ وهو من موالي الخليفه المعز لدين الله ، عاش في كنف الدولة الفاطمية في المغرب واكتشف فيه المعز من المواهب والثقافة الواسعة والشجاعة والقوة ما جعله ان يتخذه كاتبا له ولُقب بجوهر الكاتب ثم ارتقى في المناصب حتى وصل منصب الوزارة عام 346هـ ولعب دورا هاما في توطيد اركان الدولة الفاطمية في كل من المغرب ومصر .

[18] حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص128

[19] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، ص377

[20] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج1 ، نفس الصفحة

[21] المقريزي، اغاثة الامة ، ص13-14

[22] المصدر السابق ، ص14

[23] ابن زولاق ، فضائل مصر ، ص47

[24] المقريزي ,النقود الأسلامية ، ص65

عند خمسة عشر درهما بينما بلغت قيمة الدينار المُعزي خمسة وعشرين درهما[25]، وبعد وصول المُعز الى مصر تلاشى أستخدام الدينار الراضي والدينار الابيض[26].

المطلب الثاني : فتح الفاطميين لبلاد الشام

كانت السيطرة على الشام من الأولويات الأسترتيجية لأي نظام يتولى حكم مصر لذا عند دخول الفاطميين الى مصر ايقنوا ذلك وهذا ما جعل جوهر الصقلي بأرسال (جعفر بن فلاح الكتامي) على رأس جيش كبير الى الشام حيث تمكن من فتح الرملة ودمشق وأستطاع أن يقيم الدعوة فيها للخليفة المُعز لدين الله الفاطمي ، وفي تلك الأحداث أعترف حُكام حلب من الحمدانيين بالخلافة الفاطمية الشيعية حتى كان الآذان حي على خير العمل يُطلق في جميع مآذن مصر والشام[27]. كان الاخشيديون قبيل الفتح الفاطمي لمصر يدفعون الى القرامطة مبلغا كبيرا من المال تصل قيمته تصل الى 300,000 دينار في السنة مقابل تأمين سلامة وصول قوافلهم المارة في الطرق البريه من مصر وسوريا الى الحجاز، ولكن بعد فتح الفاطميين لمصر والشام قطعوا هذه المعونة وهذا ما أثار غضب القرامطة وسخطهم على الفاطميين الذي دفعهم الى مهاجمتهم[28]، وكان هجوم القرامطة على مصر هو أول خطر حقيقي يواجه الدولة الفاطمية وقد تمكن جوهر بحنكته السياسية وذكائه المتقد من صد هجومهم وذلك حين حفر خندقا كبيرا أمام الأسوار الشمالية للقاهرة بين المقطم والخليج[29] وأقام قنطرة على الخليج في مواجهة الباب الشمالي الغربي للمدينة الذي صار منذ ذلك التاريخ يُعرف بباب القنطرة وذلك لتسهيل الأنتقال الى جهة المقس، كما أخذ بابين من ميدان الأخشيدين كانا يتحكمان في المداخل الأساسية لهذا الخندق[30] ، كذلك فقد قام بحفر خندقا آخر شرق المدينة يبدأ جنوبا من عند بركة الحبش ويخترق القرافه الى أن يصل الى موضع قبر الأمام الشافعي موازيا في قسم منه الخندق القديم الذي كان قد حفرهُ (عبد الله بن جحدم) ثم يدور ناحية الشرق تجاه المقطم وحتى موقع قبر كافور وهذا كله لكي يتحاشى مجئ القرامطه من جهة الشرق[31] . عند مجئ الخليفه العزيز بالله (365-386هـ) لم يقم بأية محاوله لتحرش بالخلافة العباسية بل أكتفى فقط بأتصاله بعضد الدولة البويهي في عهد الخليفه العباسي الطائع أعترف فيه عضد الدولة بفضل أهل البيت وخاطب الخليفة الفاطمي العزيز بـ (الحضرة الشريفة) .[32] أعتنق الفاطميون نظرية جديدة في منهجهم السياسي في مصر مؤداها أن صاحب السياسة الفعلية على حكم العالم الأسلامي هو من تقُام لهُ الخطبة في الأراضي العربية الأسلامية المقدسة (مكة المكرمة والمدينة المنورة)[33] ، وقد عمل الخليفة الفاطمي العزيز بالله منهجا إداريا منظما فكان هو أول خليفة فاطمي أتخذ الوزراء لدولته الجديدة ، وقد شهد عصره تطورا عمرانيا ملحوظا حيث وضع الحجر الأساس لجامع الخُطبة خارج باب الفتوح القديم عام 379هـ وبنى كذلك القصر الصغير الغربي وجامع القرافه ، وفي عهدهِ فتحت حمص وحماه وشيزر وحلب وخطُب له في الموصل عام 382هـ وعند خروجه من الشام وافته المنية في نهاية شهر رمضان عام 386هـ في مدينة بالبيس[34].

وعند مجئ الحاكم للخلافة الذي يُطلق عليه الطاغيه والتي كانت لا تصدر قراراته إلا عن هواه أو مزاجه الشخصي وكذلك تصرفاته المتناقضة التي كانت توحي بأنفصام شخصيته[35]، وقد بدأ بتشديد الحاكم مع الرعية وخاصة أهل الذمة الذين لاقوا في عهده أشد التنكيل والتعذيب وهدمهُ لكنيسة قُمامه (القيامه) ببيت المقدس عام 398هـ الذي أدى هذا الأمر الى الأضرار بتجارة الفاطميين مع البيزنطيين[36] وذكر ابن عبد

[25] المقريزي، المقفى ، ج3 ، ص105
[26] ابن ميسر، أخبار مصر ، ص164
[27] المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص50-58
[28] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ، ص452
[29] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص198
[30] القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص229-235
[31] الكندي ، الولاة والقضاة ، ص44
[32] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج8، ص709
[33] المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1 ص192
[34] ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص37-38
[35] محمد بن عبد الله ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، ص48
[36] الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص95-100

الظاهر في كتابه (الروضه البهيه) إن الخليفة الحاكم بالله الفاطمي قام بحرق حارة (الجودرية) على أهلها اليهود الذين كانوا يجتمعون بها ويسخرون من المسلمين[37].

خلف الظاهر أباه الحاكم بعد مقتله عام 411هـ وعمره حينئذ سبعة عشر عاما وكتب الى دعاته وعماله في كافة أراضي الدولة يعُلمهم بوفاة والده وتوليه مقاليد حكم مصر[38]، كان الظاهر على النقيض من والده تماما بشوش الوجه سمحا عاقلا في أدراكه للأمور ومتوازنا في ضبطها متجنبا لسياسة العنف والقسوة مُحبا لسماع الغناء تدنو نفسه للمرح والبهجة جوادا يميل الى الدين والعفه والحُلم والتواضع أعتنى الظاهر بأوضاع البلاد الأقتصاديه حيث نعمت مصر في عهده بالهدوء والطمأنينة والراحة حيث أنتهج سياسة مغايرة لأبيه في معاملته مع أهل الذمة وحرص على أكتساب عطفهم وودهم وساد التسامح وسمح لهم بعمارة الكنائس[39] ، وأذن للنصارى واليهود الذين تظاهروا بالأسلام في عهد والده بالرجوع الى دينهم وكان ذلك مخالفة للشريعة الاسلامية[40] وحرص الظاهر على نشر الدعوة الفاطمية وأمر الدعاة في عام 416هـ أن يحفظوا كتاب (دعائم الاسلام) للقاضي النعمان بن حيون ، وكتاب (الفقه) ليعقوب بن كلس وخصص مكافأة ماليه لذلك[41] ثم خلف المستنصر بالله آباه الظاهر سنة 427هـ وهو طفل لم يتجاوز السبعة أعوام وأمتد حكمه الى ستين عاما حتى عام 487هـ[42] ، حيث كان أطول الفاطميين عهدا ، وشهدت مصر في عهده أحداثا جساما وتقلبات أقتصاديه وسياسية وأجتماعية سريعة أثرت بشكل سلبي على مركز الدولة وتراجع قوتها ، حيث يعد عهده فاصلا بين الأئمة الفاطميين على ايدي الوزراء الذي يُعرف في التاريخ الفاطمي (عصر الوزراء) حيث لم يتمكن المستنصر ومن جاء من بعده أن يتخلص من براثنهم .

زحف البساسيري الى بغداد على رأس قوة عسكرية كبيرة حاملا الرايات المستنصرية وقد كتب عليها الأمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين في عام 450هـ ودعا في يوم الجمعة من على المنابر للخليفه المستنصر الفاطمي في جامع المنصور في بغداد وقطع الخطبة للعباسيين ثم أقيمت الخطبة للفاطميين في جميع مساجد بغداد[43] ، وزحف طغرلبك السلجوقي بعد أن أنهى الاصطدام مع أخيه أبراهيم في الري فتغلب عليه وقتله ، ثم زحف نحو العراق لإعادة الأمور الى نصابها فطلب من البساسيري أعادة الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله مقابل عدم دخوله المدينة[44] وعلى الرغم من الجهود التي بذلها البساسيري في خدمة الدولة الفاطمية ونشر النفوذ الفاطمي في بغداد إلا أنه لم يتلقَ من المستنصر ما يشجعه على مواصلة القيام ببسط سلطانه على العراق ، ويبدو من ذلك أن المستنصر لم يكن يملك القوة الكافية لإمداده الى العراق هذا من جانب ومن جانب آخر أن ثقة المستنصر في هذا الرجل لم تكن كبيره[45] .طلب الخليفة المستنصر من بدر الجمالي[46] المجئ الى مصر عام 466هـ فقد بلغت قوة بدر الجمالي آنذاك ما جعلت الخليفه المستنصر ان يعقد آماله عليه خاصة بعد الازمة التي مرت بها مصر فعندما دخلها بدر الجمالي كانت مناطق مصر خاوية على عروشها وخالية من سكانها[47] ، حيث عمل على تحقيق الأمن والهدوء في العاصمة وأعادة ما نُهب من كنوز القصور الفاطمية بسبب استبداد الأتراك في البلاد[48] ، وأستطاع التخلص من القادة الأتراك الذين عدهم المسؤولون عن الفتنة التي حصلت في البلاد فدبر لهم

---

[37] ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية ، ص54-55
[38] الانطاكي ، تاريخ الانطاكي ، ص374-375
[39] المصدر السابق ، ص374-375
[40] المقريزي ، أتعاظ الحنفا ، ج2 ، ص176
[41] المقريزي، الخطط المقريزية ، ج1، ص194
[42] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص229
[43] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج 8، ص154
[44] المصدر السابق، ص157-158
[45] ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج5، ص11
[46] بدر الجمالي :هو ابو النجم بدر المستنصري وزير الخليفه الفاطمي المستنصر بالله ومجدد القاهرة الفاطمية وهو مملوك أرميني الاصل كان أمير الجيوش بالشام أستدعاه الخليفة المستنصر بالله من الشام ليوليه الوزارة حتى يستعيد السيطرة على الأمور في مصر والخروج من الأزمات التي كادت أن تطيح بدولة المستنصر بالله الفاطمي توفي سنة 487هـ
[47] المقريزي ، خطط ، ج2 ، ص210
[48] ابن الصيرفي ، الاشارة الى من نال الوزارة ، ص95-96

مذبحة كبرى وقدِم جنده من الأرمن حتى اصبح هولاء يشكلون عصب الجيش الفاطمي ، وتلاشت قوة الكتاميين وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا من أسياد البلاد وبعدما ثبت الجمالي اقدامه في الحكم حجرَ على المستنصر وتحكم في مصر تحكم الملوك على الرعية .

المبحث الثالث

تدهور أحوال الدولة الفاطمية وتراجعها في ظل حكم الوزراء

المطلب الأول : وفاة الخليفة المستنصر الفاطمي

بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة 487هـ أصيبت الدولة بتدهور كبير في هيكليتها السياسية والمذهبية وذلك للفساد الذي حل بها نتيجة لنفوذ وزراء عاثوا في أرضها فسادا ونتيجة لتولي أئمة صغار ضعاف بأستثناء الخليفة الحافظ الذي تولى الحكم راشداً فقد ساءت الاحوال الداخلية وعلاقات الدولة الفاطمية الخارجية وضعف اهتمام الأئمة الفاطميين بمزاولة شؤون الدولة في ظل وزراء أقوياء حيث كان هولاء يولون أئمة صغار ليحافظوا على امتيازاتهم وسلطاتهم ، حيث شهدت الدوله الفاطمية لأول مرة تدخل الوزراء في تنصيب وعزل الأئمة . بدأت عوامل الانحلال تظهر شيئا فشيئا في هيكلية الدولة بعد وفاة الخليفة المستنصر فكثرت الثورات الداخلية وازداد التنافس بين الوزراء فأنتقلت الدولة من حالة القوة والازدهار الى حالة الضعف والدمار أذ لم يأتي بعد حكم المستنصر خلفاء مؤهلين لمواجهة الظروف المستجدة في المشرق الاسلامي ، كما كانت سياسة الدولة المذهبية بأحتقار كل من هو غير أسماعيلي والذي أعتبرته خروجا عن الدين مما ظهر القصور الواضح والظاهر عن الأتصال بالحياة المذهبية السُنية الطاغية في المشرق الاسلامي والتجاوب مع متطلبات العصر ويمكن القول ان تاريخ هذه المرحلة هو تاريخ الوزراء الفاطميين وليس تاريخ الائمة الفاطميين ، حيث تعرضت الدعوة الفاطمية لتمزق حاد بعد وفاة المستنصر بالله نتيجة لتدخل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي فأنقسمت الدعوة الى قسمين وكان لها آثار جسيمة سواء في مصر أو في خارجها. كان للخليفة المستنصر بالله عدة أولاد منهم نزار وهو الأكبر ومحمد وعبد الله وأسماعيل والمحسن والحسن وحيدر وأحمد وهو الأصغر توفى بعضهم في حياته وقد ذكرت المصادر التاريخية بعد وفاة المستنصر أسماء منهم مثل نزار وعبد الله واسماعيل واحمد كانوا لا يزالون على قيد الحياة .[49] وتبعا للنظرية الأسماعيلية التي مؤداها بأنتقال الأمامه من الأب الى الأبن الأكبر حيث كان نزار وهو صاحب الحق الشرعي في خلافة أبيه المستنصر في منصب الأمامة.[50] لكن الأفضل تجاوز نزار عن الحكم وأجلس مكانه أخاه الأصغر (ابن أخته) أبا القاسم أحمد ولقبه بـ (المستعلي بالله) وأمه ست الملك هي بنت بدر الجمالي ، وأدى أقصاء نزار عن الأمامة على الرغم من أحقيته في الحكم الى نتائج بعيدة الأثر في تاريخ الدعوة الأسماعيلية والدولة الفاطمية والى أنقلابا مذهبيا سياسيا واضحا قام به الأفضل ليحافظ على مكتسباته وسلطاته في الدولة الفاطمية ،

المطلب الثاني : سيطرة الوزيرالأفضل وأستبداده في الحكم

قبض الافضل على شؤون الحكم في البلاد واستطاع القضاء على الفتنة التي اثارها نزار وأستبد بالسلطة دون الخليفة المستعلي وأستبد بالسلطة والحكم في كافة الامور من تعيين الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وجميع المناصب الدنيوية والدينية وبلغ في نفوذه حدا أنه لما توفي المستعلي في سنة 495هـ نصب أبنه أبا علي المنصور مكانه في الآمامة ولقبه بالآمر بأحكام الله وكان عمرة خمسة أعوام .[51] أستغل الأفضل سلطته في مصر وأجرى بعض التغييرات التي تناولت جانبا من رسوم الفاطميين الدينية وأخذ يميل بسلطتة الى أهل السُنة فألغى الأحتفال بالمولد النبوي ومولد أبنته فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب ومولد الأمام القائم بأمر الله مما أدى هذا الأمر الى أضعاف نفوذ الفاطميين الذين كانوا يحرصون على الأحتفال بهذه المناسبات لتأييد أنتسابهم الى فاطمة الزهراء رضي الله عليها وأرضاها وعلي بن أبي طالب (رض) وكذلك أستخدم الموظفين النصارى بكثرة .[52] وأقدم الأفضل على

---

[49] المقريزي ، أتعاظ الحنفا ، ج3، ص11

[50] السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج2، ص25

[51] أبن ميسر ، أخبار مصر ، ص40

[52] النويري ، ج28 ، ص274-275، أنظر : سرور الدولة الفاطمية في مصر ، ص107

خطوة جريئة لم يسبق لها أحدا من قبله في تاريخ الفاطميين وهو نقل مقر الحكم من القاهرة الى الفسطاط حيث ابتنى له دارا جنوب الفسطاط سماها دار الملك سنة 501هـ ونقل اليها الدواوين من القصر الفاطمي وأتخذ فيها مجلسا أسماها (مجلس العطايا) وجعل ديواني الانشاء والمخاطبات بجوار القاعة الكبيرة في دار الملك ، وجرد الخليفة الآمر من جميع سلطاته وعزله بقصره في القاهرة ، وأنشأ دارا للفطرة التي توزع في الأعياد وصار يتصرف في الدولة مثل الملوك والسلاطين .[53] أثارت تصرفات الأفضل في الدولة الاسماعيلية النزارية وأشتد خوفه منهم فأخذ أحتياطاته المحكمة منهم ولكن هذه الاحتياطات لم تمنع النزارية من التسلل الى مصر بالأتفاق مع الخليفة الآمر بأحكام الله الذي طفح كيله من وزيره المستبد و حاول التخلص منه لأكثر من مرة بدس السم له ، فأتفق مع النزاريه على التخلص منه فكان لدى الطرفين مصلحة مشتركة فضربوه أثناء عودته الى دار الملك بالفسطاط سنة 515هـ وعندما علم الخليفة الآمر بهذه الحادثة جاء بنفسه الى دار الأفضل وختم الدار وبيوت الأموال والخزائن والصناديق ثم صادرها وسجن أبنه أبو علي أحمد ، وبعد مقتل الافضل أستدعى الخليفة الأمر بأحكام الله القائد محمد بن فاتك البطائحي وسلمه منصب الوزارة بدل الأفضل ، وطلب الخليفة الآمر من وزيره البطائحي أعادة جميع الأعياد والاحتفالات الرسمية التي كان الوزير الأفضل قد منعها وقلص فيها دور الأمام ، وتعد مدة خلافة الآمر ووزيره البطائحي من أزهى مراحل التاريخ الفاطميي في مصر حيث يرجع اليه الفضل في تجديد رسوم الدولة واعادة مجدها وتألقها .[54]

المطلب الثالث : تولي العاضد لدين الله للحكم وأنهيار الخلافة الفاطمية

بعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله سنة 524هـ والذي أُتهم فيها النزاريين في قتله وهو في طريقه الى جزيرة الروضة .[55] قد برزت مشكلة أكبر وهو البحث عن وريث للأمامة خاصة وقد كان الآمر دون وريث .[56] فنشأت عدة أضطرابات وصراعات على السلطة أنتهت بمبايعة عبد المجيد بالأمامة الذي لُقب بـ (الحافظ لدين الله) [57] سنة 526هـ ولم يتخذ الحافظ وزراء واكتفى بتعيين حرسا خاصا سماه الحافظ حيث أعتمد على نفسة في تسيير أمور الدولة ثم استوزر أرمينياً نصرانياً أسمهُ بهرام ولقبه بـ (سيف الأسلام تاج الدولة) في سنة 529هـ حيث ظن الحافظ في تعيينه وزيراً نصرانياً لا يستبد بالدولة مثل الوزراء المسلمين ولكن هذا الأمر لم يرض عليه كبار رجال الدولة كونه نصراني وذلك لأن وزير التفويض يتدخل في القضاء ويرقى المنبر مع الأمام في الاعياد وهذا ما يخالف الأمور الشرعية .[58]

وقد تمادى بهرام بالسلطة الى أقصى حد حيث طلب من الخليفة الحافظ أحضار اخوته وأهله من تل باشر وبلاد الأرمن فأذن له وبلغ عدد الأرمن في الديار المصرية حوالي ثلاثين الف كوّن بعض منهم عصبة تشد أزره وأستطاعوا الأستطالة على المسلمين وبنوا العديد من الكنائس والآديرة الذي أقلق المسلمين وخاف اهل مصر منهم ان يغيروا ملة الأسلام[59] ، وأصبح معظم ولاة الدواوين من النصارى ، وولى بهرام أخيه ولاية قوص في الصعيد فأستقوى أمره وتمادى في ظلم المسلمين أكثر ومصادرة اموالهم .[60] لم يقبل أهل مصر بهذا الوضع المزري فأستدعوا (رضوان بن ولخشي) والي الغربية حتى يرفع شكواهم عند الحافظ وأنقاذهم من سيطرة النصارى فلبى رضوان أمرهم وخرج بجيش قوامه ثلاثين الف مقاتل لملاقاة بهرام عند الدلتا ولما تقارب الجيشان عمد رضوان الى رفع المصاحف على رؤوس الرماح ليستقطب المسلمين من جيش بهرام وفعلا ترك هولاء جيش بهرام وأنضموا الى جيش رضوان بن ولخشي فقويت شوكته بهم ، وعندها نصح الحافظ بهرام بالجؤء الى اخيه فاساك في قوص ليستعين بهم وقد علم أهل قوص بالاصطدام الذي حصل مابين الرجلين فثاروا بوجه فاساك وقتلوه فاضطر بهرام على

[53] ابن عبد الظاهر ، محي الدين ابو الفضل ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، ص 26-27
[54] سيد ، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، ص170
[55] ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص72
[56] ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج5، ص302
[57] ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص75
[58] ابن الطوير ، نزهة المقلتين ، ص44
[59] ابن ميسر ، اخبار مصر ، ص79
[60] ابن ميسر، أخبار مصر ، ص97.

مواصلة طريقه حتى وصل الى بلاد النوبه النصرانيه ليستعين بأهلها بعد ان أنتقم من آهالي قوص فتدخل ملك صقلية روجر النورمندي وطلب من الحافظ أقامة بهرام في اخميم في سنة 533هـ في حين تقرر عودة الجند الذين كانوا مع بهرام الى بلادهم تل باشر.[61] وبعد هذه الاحداث خلت الساحة السياسيه الى رضوان بن بلخشي فأسوزره الحافظ في سنة 531هـ وتلقب بلقب الأفضل .[62] أستولى رضوان بن بلخشي على شؤون الدوله العامة بالكامل مثلهُ مثل من سبقه من الوزراء وأضاف الى ألقابه لقب ملك وطارد الأرمن وأستولى على أملاكهم وقتل الكثير منهم[63] وقد كان بن بلخشي أول وزير سُني يتولى وزارة الفاطميين وكان شجاعا وقد وصف بفحل الفحول ، ويعد وصول رضوان بن بلخشي الى منصب الوزارة كأول وزير سُني هو تحول سُني في مصر بعد ثلاثين عاما[64] فقد كان من الطبيعي أن يضيق الخناق على الحافظ فأخذ باستفتاء بعض العلماء في أن الحافظ ليس أماما بل كفيلا لغيره وعندما بلغ الحافظ ذلك أستاء منهُ وحقد عليه.[65] وقد عمل بن بلخشي على أخراج بهرام من القاهرة سنة 529هـ وولاه ولاية عسقلان ومنع كثيرا من الأرمن في التوجه الى مصر وهذا ما أثار غضب بهرام فاستدعاه وولاه الغربية[66]، لقد أثارت سياسة رضوان بن بلخشي الداخلية أستياء الحافظ الذي أتخذ قرارا بعزله فأستدعى بهرام وأسكنه معه في القصر واتخذه مستشارا سياسيا له وحث الجند على التحرش برضوان بن ولخشي فثاروا عليه بعد ان عجز رضوان في مواجهتهم وأضطر الى الفرار من مصر سنة 533هـ وتوفي الحافظ في سنة 544هـ وخلفه أبنه الأصغر (ابو المنصور أسماعيل) الذي تلقب بلقب الظافر بالله .

أصبحت الساحة السياسية عند تولي الظافر في مصر للخلافة محط نزاع شديد مابين الجند السودان والجند الاتراك ومابين الآمراء على منصب الوزارة وأخيرا عين الظافر محمد بن مصال وزيرا له ولقبه بـ (الأفضل أمير الجيوش)[67] ثم ولأستمرار الصراعات مابين الأمراء عين الظافر عباسا الصنهاجي في منصب الوزارة واخيرا عين الملك الصالح طلائع بن رزُيك الذي يعد آخر الوزراء الفاطميين الأقوياء وأخر دعامة في الدولة المتداعية إلا أنه كان ذات مذهب أمامي وشديد التعصب له مبغضا على النصارى[68] والواضح أن سلطة الوزراء قد أزدادت في الايام الأخيرة من حياة الدولة الفاطمية حتى اصبحوا يتدخلون في تولية الأئمه وحتى أنهم لم يراعوا في توليتهم مبادئ الاسماعيلية . تولى العاضد لدين الله للخلافة سنة 555هـ بعد خلافة الفائز وأصبح طلائع بن رزُيك صاحب الأمر والنهي في جميع أمور الدولة ولم يكن للعاضد أي دور يُذكر حتى أنه نقل جميع أموال القصر الى دار الوزارة[69] ضاق العاضد ذرعا بتصرفات بن رزُيك فتآمر على قتله سنة 556هـ فاعتلى الملك العادل رزُيك بن طلائع ابن الملك الصالح طلائع بن رزُيك لمنصب الوزارة وكان متسامحا اسقط الظلم عن الناس[70] وكان شاور هو الوزير المنافس له الذي أتصف بالطموح السياسيس الذي استطاع جمع قواه من العربان وأمراء الصعيد وسار بهم الى أقليم قرب الدلتا حتى دخل القاهرة وقتل الملك العادل بن رزُيك في سنة 558هـ[71] وحين استبد شاور بالحكم مثله مثل من سبقه من الوزراء صادر اموال بني رزُيك وعامل العاضد معاملة سيئه[72] وكان ضرغام قائدا للجيوش الفاطمية الذي لم يقل طمعا في الوزارة حيث جرى قتال بين أنصار الرجلين

---

[61] المصدر السابق ، ص80
[62] المصدر السابق، ص82
[63] المصدر السابق ص82
[64] سيد، ايمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، ص200
[65] ابن الطوير، نزهة المقلتين ، ص51-52
[66] ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص79
[67] ابن ميسر ، أخبار مصر ، ص89
[68] المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج3 ، ص222-249
[69] ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص111
[70] المقريزي، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص254
[71] ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، ص113
[72] المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج3 ، ص260-264

وأستمر الصراع بينهما الذي أتخذ ضرورة التدخل الاقليمي الخارجي حيث تمثل بتدخل نور الدين محمود[73] وعموري الاول ملك بيت المقدس وجاءت تلك الاحداث مؤشرا مؤكدا على نهاية الدولة الفاطمية

الخاتمة والآثار والنتائج

1- أثبتت الدراسة ان الخلافة الفاطمية أو الدولة العبيدية هي أحد دول الخلافة الأسلامية التي أتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبا رسميا لها حيث تنسب نفسها الى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صل الله عليه وسلم عن طريق جعفر الصادق (ع)

2- بعد نشر دعوتهم وأقامة خلافتهم في المغرب الأسلامي وجد هولاء الأسماعييلين في المغرب بين القبائل البربرية البيئة الخصبة لنشر تشيعهم وذلك بسبب البعد الجغرافي عن الشرق الأسلامي مركز الخلافة السُنية العباسية وقد توسعوا في المغرب وأستولوا على مدينة القيروان عاصمة الأغالبة

3-- أثبتت الدراسة أن مرحلة الضعف والأنحسار التي مرت بها الدولة الفاطمية فهي مرحلة نفوذ الوزراء فيها على حساب صلاحيات الحكام الفاطميين وكان ذلك بعد وفاة المستنصر بالله الفاطمي سنة 487هـ وأصبح الوزراء هم من يعينون الخلفاء ويعزلونهم حتى بات الوزراء يفضلون تعيين الخلفاء الضعفاء من اجل مصالحهم وأطماعهم

4- وبعد تولي صلاح الدين للوزارة في مصر وهو يعد آخر وزراء الفاطميين الذي قام بتقوية حكمه الداخلي فكسب محبة أهل مصر وسيطر على الجند بمحبته ومعاملته الحسنة وأحكم بذلك على موارد الدولة وأضعف نفوذ الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي مما أثار مخاوف مؤتمن الخلافة في السودان فسارع بالأتصال بملوك أوربا وطلب مساندتهم ومطالبتهم بحملة صليبية على المشرق فعلم صلاح الدين بالأمر وقتل مؤتمن الخلافة وعزل كل موالي العاضد لدين الله

5- وفي سنة 565هـ وصل الصليبيون الى دمياط وفشلت محاولاتهم وبعد هذا النصر طلب نور الدين من صلاح الدين ان يوقف الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد وأقامتها للخليفة العباسي المستضئ بأمر الله وكان العاضد لدين الله مريضا وقد توفي بعد ذلك بأيام وبذلك كانت نهاية الدولة الفاطمية سنة 567هـ وبذلك تصل مدة حكمهم 270 عاما

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن الأثير (ت 630هـ) عزالدين أبي الحسن
- الكامل في التاريخ ، القاهرة ، ج1 ، سنة 2001م
ج8، تحقيق ، تورنبريك، بيروت ، سنة 1995م
2- الأنطاكي (ت 458هـ) يحيى بن سعيد ، تاريخ الأنطاكي ، تحقيق ، عمر عبد السلام تدمري ، جروس برس ، طرابلس ، سنة 1989م
3- ابن تغري بردي (ت 874هـ) ابو المحاسن يوسف بن سيف الدين ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ج5

4 ـ توفيق ، هلز رشيد ، سقوط الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، جامعة الفرات ، معهد العلوم الأجتماعية

5- جلي ، احمد محمد احمد ، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ، المملكة العربية السعودية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات و ط3 ، سنة 2003م

6- حسن ، حسن أبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، القاهرة ، سنة 1994م

[73] نور الدين زنكي : هو نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ويلقب بـ الملك العادل صاحب بلاد الشام ورثها عن ابيه، حكم حلب وقام بتوسيع امارته بشكل تدريجي وحارب الصليبين بعد وفاة والده وفتح القدس بعد توحيد مصر والشام في دولة واحدة ، تميز عهده بالعدل وتثبيت المذهب السنُي في بلاد الشام ومصر وقام بنشر التعليم والاهتمام بالصحة في اماراته واتبع الحلول العلقية ذات الطابع العلمي في مواجهة المشاكل والاحداث

7- ابن خلكان (ت 681هـ) شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت ، دار الثقافة ،سنة 1968-1971م ، ج5 رستم ، سعد ، الفرق والمذاهب الأسلامية منذ البدايات ، دمشق ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ط3 ، سنة 2005م
8- رستم ، سعد ، الفرق والمذاهب الأسلامية منذ البدايات ، دمشق ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ط3 ، سنة 2005م
9- أبن زولاق (ت 387هـ) أبو محمد الحسن بن أبراهيم ، فضائل مصر وأخبارها ، مخطوطة باريس ، نقلا عن كتاب ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، د. أيمن فؤاد السيد ، سنة 2007م
10- سرجاني ، راغب ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الأسلامي ، القاهرة ، سنة 2013م
11- سرور ، محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، القاهرة ، الفكر العربي ، سنة 1999م
12- سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، القاهرة ، الدار المصرية – اللبنانية ، ط1 ، 1992م
13- السيوطي (ت 911هـ) ابو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ط1، ج2 ، سنة 1977م
14- صبحي ، أحمد حسن ، الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، سنة 2015م
15صلابي ، علي محمد، الدولة الفاطمية ، القاهرة ، ط1 ، سنة 2006م
16- ابن الصيرفي (ت 542هـ) ابو القاسم علي بن منجب بن سليمان ، القانون في ديوان الرسائل والإشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق ، ايمن فؤاد السيد ، القاهرة ، الدار المصرية – اللبنانية ، سنة 1990م
17 - أبن الطوير (ت 617هـ) ابو محمد المرتضى ، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق ، أيمن فؤاد السيد ، النشرات الأسلامية ، -39- شتوتجارت ، 1992م
18- ابن ظافر (ت 613هـ) جمال الدين ابو الحسن ، أخبار الدول المنقطعة ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، سنة 1972م
19- العبادي ، أحمد مختار ، في تاريخ العباسي والفاطمي ، الأسكندرية ، سنة 2006م
20- أبن عبد الظاهر (ت 692هـ) ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، مدينة القاهرة ، مكتبة الدار العربية ، ط1 ، 1996م
21- ابن عذاري (ت 712هـ) ابو العباس احمد بن محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، كولان برفنسال، ليدن ، سنة 1945م

22- عنان ، محمد عبد الله ، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، سنة 1959م

23- الغنيمي ، عبد الفتاح ، موسوعة المغرب العربي ، القاهرة ، ج2 ، 1994م29
24- ابن القلانسي (ت 555هـ) حمزة بن أسد بن علي ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق ، آمدروز ، بيروت،سنة 1908م

25- القلقشندي (ت 821هـ) شهاب الدين احمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء ، بيروت ج3 ، سنة 1998م
26- الكندي (ت 256هـ) ابو يوسف يعقوب بن أسحاق ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، نشره رفن جست ، سلسلة جب التذكارية ، بيروت ، سنة 1908م

27- لويس ، برنارد ، الحشيشية ، سورية ، سنة 2006م
28- محمود ، محمود عرفة ، الدولة الفاطمية في مصر ، القاهرة ، سنة 2002م

29- المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، طبعه برييه دي منار وبافيه دي كرتارى ، عنى بتحقيقها شارل بلا ، بيروت ، الجامعة اللبنانية ، سنة 1970م
27- المقدسي (ت 380هـ) ابو عبد الله احمد بن محمد ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، نشر دي خويه ، ليدن ، بريل سنة 1906م

30- المقريزي (ت 845هـ) ابو العباس تقي الدين
- أغاثة الأمة بكشف الغمة ،تحقيق ، محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة ، سنة 1957م
- النقود الأسلامية ، القاهرة ، سنة 1914م
- المقفى الكبير ، تحقيق ، محمد اليعلاوي ، بيروت ، دار الضرب الأسلامية ، ج3 ، 1991م
- أتعاظ الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ج1-ج3 ، الجزء الأول ، تحقيق ، جمال الدين شايل ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية ، سنة 1967- 1973م
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعة بولاق ، ،ج (1-2) ، (د 0ت)
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، بيروت- لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط1،ج3 ، 1998م

33- أبن ميسر (ت 677هـ) محمد بن علي بن يوسف ، أخبار مصر ، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ، أيمن فؤاد السيد ، القاهرة ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية
34- ناصر خسرو ، سفرنامه ، ترجمة ، يحيى الخشاب ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، سنة 1997م
35- النويري (ت 733هـ) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 1992م